سِفْر التكوين
الدرس سبعة وعشرون - الإصحاح سبعة وعشرون
قراءة الإصحاح سبعة وعشرون بكامِله
اسمحوا لي أن أقتبِس تَصريحًا عميقًا أدلى به العالِم المَسيحي اليهودي العظيم في القرن التاسع عَشر، وربما الرَجُل الذي أثَّرَت قراءاته عليّ كما أثَّرَت التوراة نفسها، ألفريد إيديرشايم: "إذا كان هناك أي نقطة يجِب أن نكون حذرين منها، فهي نُقطة "إغراء الله". نحن نُغري الرَب عندما نستمِع إلى مُيولنا الخاصة، ونطرَح مرة أخرى فرصة للتساؤل حول ما أقَرَّه بوضوح.
حين يقرر الله، دعونا لا نَشكّ أبدًا، ولا نَتَخلَّف."

كمْ مرَّة عانينا جميعًا من رؤية مُتطلبات الله منّا بوضوح، ولكننا طَلَبْنا منه قرارًا آخر ومُختلِفًا يناسِب أجَنْدتنا الشخصية بشكل أفضل، أو أبدَيْنا وجهة نَظرِنا لما يجب أن يكون. هذا ما فَعَله إسحاق، ما لم يخلُق سوى المتاعب.

يبدأ هذا الإصحاح بإسحاق العجوز الأعمى والمَريض وهو يطلُب من عيسو أن يذهبَ لصَيد بعض اللحوم كجزء من وَجْبة تذكارية كانت جزءًا لا يَتجزَأ من البَرَكة التي أراد إسحاق أن يمنحَها لعيسو. بالطبع، لم يكُن هذا على الإطلاق ما قاله الله لإسحاق، من خلال زوجته ريبيكا. فهل قرَّر إسحاق، منذ كل هذه السنوات، تجاهُل ما قالته له زوجته... ربما مُشكِّكًا؟ هل كَوّن رابطة قوية مع عيسو لدرجة أنه لم يَستطِع تَحمُّل فكرة أخْذ هذه البَرَكة المهمّة للغاية من ابنه الحبيب، مع العلِم أنها ستذلُّه وتَسحَقُه؟ أم أنه تَصوَّر أنّ الله ربما سيسمَح له ببساطة بالسَير في طريقه الخاص، والتمرُّد، ومباركَتِه على أي حال؟

يجب أن أعترِف بسهولة أنه بَعْد عدّة سنوات من الدراسة... وقراءة الأعمال الرائعة لبعض الحكماء العبرانيين العظماء القدامى... تَغيَّر استنتاجي قليلاً بمرور الوقت. من المثير للاهتمام، أليس كذلك، أنّ مسألة حقّ البكورية... أي من سيكون البكور، الابن البِكر... لم تكن أبدًا المسألة في هذه الرواية؟ قد يَحكّ بعضكم رؤوسهم مُتسائلين: ما الذي يدور حوله كل هذا؟ أو بالأحرى، يبدو أنّ كتابي المقدس يجعَل كل هذا يتعلَّق بحقّ البكورية! حسنًا، سنتعامل مع ذلك الأمْر أثناء تقدُّمنا، لكن دعوني أريكم شيئًا قد يُريح عقلَكم قليلاً: انظروا إلى الآية ستّة وثلاثين. (ناس) سِفْر التكوين الإصحاح السابع والعشرين الآية ستّة وثلاثين فقال (عيسو): "أليس أنه سمّى يعقوب حقًا، لأنه تخلَّف عني الآن مرّتين؟ أخَذ حَق البكورية، وها هو الآن قد أخذ برَكَتي". وقال: "ألم تحتفِظ لي بِبَرَكة؟"

بحلول الوقت الذي نصِل فيه إلى هذا الإصحاح، يبدو أنّ قضية حق البكورية قد تم حلُّها بالفعل. يبدو أنّ إسحاق قد قبِلَها على مضَض في مرحلة ما قَبل هذا المشهد، وكان عيسو على دراية تامة بهذه المسألة. تُظهِر دراستي لحقّ البكورية والبركات أنّ الأمرين ليسا مرتبطَين بالضرورة. يتمّ تسوية مسألة حق البكورية، في الغالب، تلقائيًا عند ولادة الطفل الذَكَر الأول.
بالتأكيد، إذا مات هذا الطفل، فإنّ ذلك يزيد الطين بَلّة؛ ولكن في كل الأحوال، سيحصُل الطفل الثاني تلقائيًا على الحقّ الذي كان يَتمتّع به شقيقه المتوفى... وإذا مات الطفل الثاني، سيحصُل الثالث على

الحقّ إلخ. ولن تكون هناك مراسم أو طقوس مُرتبِطة بذلك، فقد كان هذا الأمر راسخًا تمامًا في القانون والتقاليد في ذلك العَصر. لذا، فإنّ البَرَكات التقليدية التي تُمنَح للعائلة قُرب نهاية حياة زعيم العائلة تعني شيئًا آخر. بعبارة أخرى، الفكرة لا تكمُن في أنّ الجميع ينتظرون بفارِغ الصَبر نهاية حياة زعيم العائلة الحالي لمعرِفة من سيكون زعيم العائلة الجديد... الذي سيتمّ تَعيينه "بخور". يمكننا جميعًا أن نتخيَّل أفراد العائلة الجشِعين وهم يجلِسون في دائرة، وينظرون بترقُّب كبير إلى المحامي، وهو يَستعدّ لقراءة الوصية؛ مِثل الأطفال الذين يُحدِّقون في الهدايا تحت شجرة عيد الميلاد؛ يتأمَّلون، من دون التأكّد بشأن ما ينتظرُهم.

يجب أن نفهَم أنّ الابن البِكر لم يحصُل على كل شيء؛ بل كان يحصُل على الجزء الأكبر فقط... ويُسمّيه الكتاب المقدس "الجزء المزدوج". وإلى جانب هذا الجزء المزدوج، يحصُل الابن البِكر على حقّ الزعامة على العشيرة. والآن، لا شك أنّ قيمة الجزء المزدوج كانت تَختلف حسب الموقِف. فالجزء المزدوج لا يعني بالضرورة أنّ الابن البِكر يحصُل على ضِعف ما يحصُل عليه جميع إخوته. ولا يعني هذا بالضرورة أنّ جَردًا دقيقًا للثروة كان يتم للتأكُّد من حصول كل فرْد على نصيبه. وربما حَدَث ذلك على هذا النحو، وخاصةً في العصور اللاحقة. وفي أغلب الأحيان، كانت هذه الأجزاء تَقريبية؛ فقد يكون الجزء المزدوج أكثر بقليل من جزء الآخرين، إلى كلّ شيء ذي قِيمة تقريبًا. وكان الأمْر كلُّه مَتروكًا للأب الطَيِّب.

لذا، فإن ما نشهَدُه هنا يتعلَّق بالبَرَكة، وليس القرار بشأن من هو البِكر. والبَرَكة في هذه الحالة تتعلَّق بتقسيم الثروة. ومثلما هو الحال بالنسبة لنا اليوم... وربما منذ زمن سحيق بالنسبة للجميع... إنّ الأبناء الوارثين يَشعرون عمومًا أنه إذا حصَل أحدهم على أكثر من الآخرين فهذا يعني أنه كان محبوبًا أكثر من الآخرين. أو إذا حصَل أحدهم على أقل من الآخرين فهذا يعني أنه أقلّ حُبًا أو قيمة من الآخرين.

لقد قيل لنا في الآية واحد أنّ إسحاق كان كبيرًا في السن عندما قرَّر أن يقدِّم بَرَكته. وكان أعمى تقريبًا أيضًا. هل كان قريبًا من الموت؟ ربما كان يَعتقِد ذلك، رغم أن ذلك لم يُثبَت. كان عمره مئة وسبعة وثلاثين عامًا في هذا الوقت. ولكن توقَّفوا وفكِّروا لِلَحظة فيما يعنيه هذا فيما يتعلَّق بعُمر يعقوب وعيسو. لقد وُلِدا، كما قيل لنا، عندما كان إسحاق في حوالى الستين من عُمرِه. إذًا، كان هؤلاء "الأولاد" في منتصف السبعينيات أو أواخرها!! حسنًا، هذا بالتأكيد يُدمِّر هذه الصور الذهنية الرائعة التي لدينا لشابَّين قويَّين تقودُهما أمهما الماكرة، أو لعيسو الرياضي الذي خَرَج لقتْل الطرائد من أجل هذه البَرَكة!

سمِعَت ريبيكا، أمّ هذين الصبيين التوأم، تعليمات إسحاق لعيسو الذي بدا مسرورًا على ما يبدو، وتآمرت لقَلْب نوايا إسحاق. كان عيسو يواصِل إثبات عدم ملاءمته لمواصَلة الخط الإلهي الذي بدأه الله مع إبراهيم. من المُحتَمل أنّ ريفكا كانت تُفكِّر أنه إذا رَفَض زوجها العجوز المتهاوِن تنفيذ إرادة الله، فإنها ستفعَل كل ما يَلزَم... حتى لو كان ذلك يتضمَّن الخِداع.

بعْدَ كل شيء، ألا تُبرِّر هذه الغاية، التي رَسَمها الله، أي وسيلة لتحقيقها؟ ألا يُفضِّل الله أن يتمّ تحقيق هدف خطّته... وكل الأشياء التي تُرافِقُها... حتى لو تم ارتكاب خطأ لتحقيق ذلك؟ يجب أن يكون هذا الأمْر

أحد أصعب أجزاء مَسيرة المؤمن مع الله؛ إن وَضع ثقتنا الكاملة فيه لتحقيق إرادته، حتى لو كانت كل عقولنا وحواسنا ومنطقنا وإحساسنا بالعدالة وتجربة الحياة تقول إنه لا يمكن أن يحدُث ذلك في ظلّ الظروف الحالية.

تَخبِر ريبيكا يعقوب بما يحدُث في خيمة أبيه، فينضمّ إليها في خطّتها: وتتلَّخص هذه الخطة في أن يَتقمَّص يعقوب شخصية عيسو. ويَتردَّد يعقوب قليلاً؛ ليس لأنه يَعتقد أن ما يفعلانه قد يكون خطأً، بل لأنه قد يُكتشَف أمرهما وسيُضطر بعد ذلك إلى تحمُّل العواقب. ويذهب يعقوب إلى حدّ ارتداء ملابس عيسو، بل وحتى ربْط جلود الماعز بذراعيه ورَقبته لتقليد جسد عيسو المشعر بطبيعته، فيدخُل خيمة أبيه.
في البداية، كان إسحاق مُشكِكًا، لكن حواسه أخبرته أن شيئًا ما قد يكون غير صحيح تمامًا؛ لكن إسحاق كان مُقتنعًا تمامًا بأن هذا هو عيسو بالفِعل أمامه، لذلك نَطَق بارِك يعقوب. الكَلِمة العبرية المُستخدمَة هنا للبَرَكة هي "بِركاه"، وهي كَلِمة عبرية شائعة جدًا سنَجِدُها في جميع أنحاء العهد القديم.

لنقرأ الآن كَلِمات البَرَكة التي تلاها إسحاق على يعقوب وهو يظنّ أنه عيسو:

(ناس) تكوين الإصحاح سبعة وعشرون الآية ثمانية وعشرون الآن فليعطِك الله من ندى السماء ومن دسم الأرض وَفرة من الحِنطة والخَمر. تسعة وعشرون، لتخدمك الشعوب وتسجد لك الأمم. كن سيدًا لإخوتك وليسجد لك بنو أمك. مَلعونون هم لاعنيك ومبارَكون هم مباركيك.

الآن، لا شك أن هذه البَرَكة تتضمَّن كَلِمات ومصطلحات مُعيّنة تمنَح البَركة بحِقّ للبِكر؛ على سبيل المثال، "كُن سيّدًا على إخوتك". لذا، بينما لم يكُن إسحاق يتجادَل حول الجانب الفني لمَن تم تعيينه كبِكر، فقد كان يستخدِم امتيازاته ليقرِّر بالضبط من يحصُل على هذا وذاك. وكان ينوي أن يُعطي عيسو الكثير مما كان يجب أن يحصُل عليه البِكر تقليديًا.

هذا يُشبِه إلى حدٍ ما الوَضع عندما أعفى الرئيس ترومان الجنرال ماك آرثر من قيادته بعد الحَرب العالمية الثانية. لم يتوقَّف الجنرال ماك آرثر عن كونه جنرالًا بخَمس نجوم، أو رجُلًا يتمتَّع بقوة ومكانة كبيرة في الجيش. لقد جَعَل الرئيس ترومان الموضوع بحيث لم يكُن لدى ماك آرثر أي شيء ولا أحد يمارِس عليه هذه السلطة. لا يحاول إسحاق أن يقول إن يعقوب ليس البِكر؛ إنه يحاوِل فقط انتزاع معظم حقوق البِكر من يعقوب وإعطائها لعيسو... مجرّد مِثال آخر "طريقة لسَلْخ قطّة."

علاوةً على ذلك، يبدو أن البَرَكة في أغلب الأحيان التي يتم نُطقُها، تجعَل الأمْر رسميًا إلى حدٍ ما، وفقًا للتقاليد، ومنذ فترة طويلة. على سبيل المِثال، يقوم رَجُل ثري بإعداد وصيّة، ويوقِّع توكيلًا رسميًا بأن الوصيّة لا يجوز تغييرها أبدًا تحت أي ظرف من الظروف، من قِبَل أي شخص بما في ذلك نفسُه، ثم يعيش بشكل غير مريح لمدة عَشر سنوات أخرى.
لقد تم البَتّ في جميع الأمور ونقشُها على الحَجر؛ يتم تحديد مِقدار ما يتلقّاه كل وَارِث ولا يمكن تغييره؛ ولكن لا شيء يَسري حتى يموت المؤرّث ويتم قراءة الوصية. هذه البَرَكة، هذه "البركاه"، تُشبه قراءة الوصية

بمعنى أنه على الرغم من أن الأمور قد تم البتّ فيها منذ فترة طويلة، إلا أنه لم يتمّ نقْل الثروة أو السُلطة بعد.

حسنًا، تمّ الموضوع. لقد تلقّى يعقوب البَرَكة التي أرادها الله له؛ لقد تمسَّك بحقّ البكورية الذي أخبَر الله والدته أنه سيحصُل عليه، وحصَل على السُلطة ... السُلطة لقيادة العشيرة. ولكن لا شكّ أن يعقوب لم يشعُر بأي من الفرَح الداخلي والشعور بالتواضُع أمام الله الذي كان ينبغي أن يكون حاضرًا بعد اختياره لحَمْل وَعد العهد الذي كان مهماً للغاية لمستقبل البشرية جمعاء. فقد أخطأ يعقوب في التأكد من الحصول عليه... لقد كان خِداعه خطيئة ضد الله... وربما كان ضميره يلُاحقه لبقية حياته. إنه لأمرٌ مدهش: لقد مَرّ يعقوب بكل هذه الالتواءات ونجَح في كل هذه الخداعات المؤلِمة فقط ليحصُل على ما لم يكُن من الممكِن أن يُحرَم منه على أي حال، لأن الرَب قد قرَّر ذلك مُسبقًا.

ولكن، الآن، حدَث ما هو غير متوقع: عاد عيسو من صيده الناجح، وأعَدَّ اللحم، ودخَل خيمة أبيه مُستعدًا ومُتحمسًا لتلقّي ميراثه. أدرَك إسحاق المندهش على الفور أنه قد خُدِع، ورغم أنه يَشعر بالأسف على عيسو، إلا أنه لا يوجد شيء يمكن فِعله لأن نِعمة من هذا النوع، بمجرد مَنحِها، لا يمكن الرجوع عنها لأي سبب من الأسباب. شَعَر عيسو بالانزعاج، وتوسَّل للحصول على نوع من البَرَكة. دعوني أذكِّركم بكَلِمات الآية ستّة وثلاثين، حيث تحدَّث عيسو عن شيئين سُلبا منه: حق البكورية وبَرَكاته. تحدَّث عن فقدان حق البكورية باعتباره شيئًا من الماضي، وفِقدان البَرَكة المُخصّصة له باعتباره شيئًا يحدث "الآن". لم يدخُل عيسو الخيمة متوقِّعًا أن يُدعى البكور. أراد عيسو ببساطة الكثير من الثروة والسُلطة. لم يكن يريد المتاعب والأعباء المُرتبطة بكونه البِكر، بل كان يريد فقط المكافآت المادية التي كان البِكر يستحقّها.

الآن يبارك إسحاق عيسو... لكنه مَحدود فيما يستطيع أن يقدّمه لعيسو. البَرَكة التي يمنحُها له إسحاق تحدُث في الآيتين تسعة وثلاثين وأربعين. دقَّق علماء مُختلفين لسنوات عديدة في كَلِمات الآية تسعة وثلاثين؛ وأودّ منكم أن تنتبِهوا إلى شيء قاد أتباع يَهوَه... اليهود والمسيحيين... إلى المتاعب مَرّة تلو الأخرى. وهو أننا نحاول حَلّ ما يبدو وكأنه تناقض في الكتاب المقدس ليُصبح في النهاية عقيدة وتقاليد. وتقودُنا هذه العقيدة والتقاليد إلى مسارات تُعمينا عن الحقيقة الكتابية.

التقليد يُترجِم الآية تسعة وثلاثين (الرجاء من الجميع أن يَنظروا في هذه الآية في الكتاب المقدس) "سيكون بيتُك غِنى الأرض وندى السماء من فوق". في بعض الأحيان، قد تَرِد كَلِمة "السمنة" بدلاً من الغنى. ومع ذلك، فإن الآية تقول حرفيًا "بعيدًا عن غنى الأرض وبعيدًا عن ندى السماء سيكون مَسكِنك."

لماذا هذا الاختلاف الواضح؟ لماذا يَقرأ العبرانيون حتى تَرِد كَلِمة "بعيدًا"، ويبرّرونه بأنه غير موجود؟ لماذا يَحذو المسيحيون الأمميون حَذوَهم؟ لا يبدو أن هناك سببًا واضحًا يمكن للمَرْء أن يعتمدَه، ويبدو بالتأكيد أنه لا توجد مؤامرة مُتضمِّنة. لقد تغيَّرت ترجمة (الكتاب المقدس الأميركي النموذجي الجديد) منذ عقود لتعكُس هذه الترجمة الحَرفية لـ "بعيدًا عن". ذَكَر ألفريد إيديرشايم منذ أكثر من مئة عام أن هذه الآية قد تُرجِمت بشكل خاطئ عندما أظهرت عيسو ذاهبًا إلى مكان خَصب وجميل مليء بالأمطار الوفيرة.

يبدو أن هناك جهدًا طويل الأمد لفَهم الآية ثمانية وعشرين، لتَدلّ على أن إسحاق يبدو وكأنه يعطي نعمة مماثلة جدًا ليعقوب، ولعيسو، بما يَخصّ المكان الذي سيَعيش فيه كل منهما. إنها بَرَكة مَنَحَها إسحاق في محاولة لإضفاء العدالة، وتعويض الظُلم الذي لَحِق بعيسو على يد أخيه يعقوب. ولكن إذا ألقينا نظرة على النصّ العبري الأصلي، فإن هذا الأمر غير مُحتمَل، حيث تُستخدَم كَلِمات مختلفة تمامًا لوَصْف طبيعة البَرَكة التي مُنِحت ليعقوب وطبيعة البَرَكة التي مُنِحت لعيسو.

في الآية ثمانية وعشرين، ينصّ النصّ العبري على أننا نرى الله وهو يُعطي يعقوب من خلال إسحاق ثراء الأرض، وفي الآية تسعة وثلاثين نرى أن إسحاق يُخبر عيسو أنه سيُمنَع من ثراء الأرض. وعندما نُدرك أن أدوم... أرض عيسو... تقَع في الطرَف الجنوبي من البحر الميت، ثم تمتدّ مسافة قصيرة إلى شِبه الجزيرة العربية، التي كانت في ذلك الوقت، وستظلّ كذلك دائمًا، أرضًا قاحلة وغير مِضيافة، فمن المُحيّر لماذا تُرجِمت هذه الآية بشكل غير صحيح على أنها تُظهِر أن عيسو قد نال نعمة العيش في مكان خَصب جميل. يبدأ المرء في الشكّ في أنه في وقت ما منذ زمن بعيد، كان هناك تعاطُف مع عيسو ومِحنته، والواقع أن الحاخامات والكتَبَة القدماء شعروا بالأسف على عيسو، بدرجات متفاوتة.
عندما نتراجَع ونفكّر في هذه الحَلَقة بأكملها، ألا يمكننا أن نَجِد سببًا وجيهًا جدًا للتعاطُف مع عيسو؟ بعد كلّ شيء، يبدو أن مصيره قد تمّ تحديده قبل ولادته. ولم يكُن يعقوب شجاعًا كثيرًا في هذه المسألة برِمَّتها؛ فضلاً عن ذلك، من المؤكد أن أم عيسو كانت تفضّل يعقوب وتَقِف إلى جانبه عَلنًا. فهل كان قصْد الله أن يلْعَن عيسو، أم أنه لم يبارِكه بكل حقوق المولود الأول؟ هذه هي الأسئلة التي تصارع معها الكتَبَة والحكماء القدماء.

عاش راشي، الحكيم العبري المرموق الذي كان له تأثير كبير على اليهودية الحديثة، في زَمن الحروب الصليبية المسيحية الأولى، في القرن الحادي عشر الميلادي. وكان لديه الكثير ليقولَه عن عيسو، وفي مُحاولة واضحة لإثبات وُجهات نَظَر الحكماء الأوائل المتعاطفة مع عيسو، كتب راشي أنه رأى عيسو كـ "نوع". لقد شَبَّه عيسو، في أيامه، بإيطاليا وروما، ويعقوب بإسرائيل وأورشليم. وهذا مَنطقي للغاية في أيامه وزَمانه، لأن "الكنيسة" كانت الكنيسة الكاثوليكية الرومانية التي تَتّخذ من روما بإيطاليا مَقراً لها؛ وكانت الكنيسة الكاثوليكية لقرون مُضطهِدة الشعب اليهودي الأساسية. خلال الحَمْلة الصليبية الأولى، والتي شهِدها راشي بنفسه، تم تحويل آلاف وآلاف اليهود قَسرًا إلى المسيحية من قِبل الصليبيين، واستشْهد آلاف آخرون لمجرد كونهم يهودًا، وتم إعدام آلاف آخرين بالسَيف عندما وصَل الصليبيون إلى أورشليم.
لقد شرَح راشي أن البركة التي نراها في تكوين الإصحاح سبعة وعشرين الآية تسعة وثلاثين والتي تتحدث عن خصوبة الأرض وثَرائها، تُشير إلى التربة البركانية الغنيّة الرائعة في إيطاليا وروما. علاوةً على ذلك، لأنه كان من المفهوم جيدًا لدى جميع الحكماء أن عيسو كان مُقدَرًا له أن يُصبح عدوًا لإسرائيل، فإن عيسو يُمثِّل الكنيسة الكاثوليكية الرومانية... أو كما رآها في تلك الأيام... ببساطة "الكنيسة."

على أيّة حال، فإن هذه النَظرة العبرية التقليدية لعيسو التي تُظهِر التعاطف مع مِحنته وكذلك الاعتراف بمصيره كعدوّ لإسرائيل، تَظهَر في محاولة لخَلط كَلِمات الآية تسعة وثلاثين للإشارة إلى أن عيسو قد نال

على الأقل بعض النِعمة من الله، من خلال والِده إسحاق... ولكن التاريخ يُظهِر أنّ الواقع مُختلِف تمامًا. مؤخرًا، سمِعتُ بعض المتحدّثين، وقرأتُ بعض المقالات، يحاولون تبرير الترجمة الخاطئة الواضحة للآية تسعة وثلاثين بالقول إنّ "السمنة" هي في الحقيقة مجرد طريقة أخرى لقول "زيتي"... بعبارة أخرى، القول إنّ السمنة تُعادل الزيت. الفكرة هنا هي شَرح كيف يقول الكتاب المقدس أنّ عيسو، الذي أسّس منطقة تُسمّى أدوم، كان مُقدّرًا له أن يعيش في مكان غني، والذي سيقوده إلى الرخاء؛ بينما في الواقع كانت أدوم دائمًا أرضًا قاحلة صحراوية حيث كان كَسْب لقمة العيش أمرًا صعبًا. إذًا، بتغيير كَلِمة "السمنة" إلى "الزيت"، نرى مدى ثراء شيوخ العَرَب بسبب احتياطياتهم من النفط، وهذا يَحلّ المشكلة بِرمّتِها. خطأ! حتى لو كانت الحجّة المروِّعة لتغيير "السمنة" إلى "الزيت" مقبولة... والتي، في اللغة العبرية، اللغة التي كُتِبت بها هذه الكَلِمات، وهي ليست كذلك... لم يكُن هناك في الجزء من شِبه الجزيرة العربية الذي كان ضُمن أراضي أدوم أي نفط. الجزء الجنوبي من الأردن هو المكان الذي كانت توجد فيه معظم أدوم، والأردن لا تحتوي عمليًا على نفط على الإطلاق؛ وجنوب الأردن، حيث تقَع بقية أدوم، لا يقَع بالقُرب من حقول النفط السعودية. كلا... إنّ مصطلح "السمنة من الأرض" مجرد تعبير عبري معروف ويَسهُل التعرّف عليه؛ إنه يعني ببساطة "أفضل الفواكه والمنتجات من الأرض."

على أيّة حال، عندما نُترجِم بشكل صحيح الجزء الأول من بركة عيسو... أنّ عيسو وذريّته سيُمنَعون عن الأراضي الخصبة... فإنّ الجزء الأخير منه، واستجابة عيسو، يَجعلان الأمر أكثر منطقية؛ فقد كانت بَرَكته أشبه باللعنة أكثر من كونها نِعمة. لو كان عيسو قد بورك بسعادة، وبالتالي كان مُقدَرًا له أن يُقيم في مكان رائع، ويعيش من ثراء الأرض، هل كان ليُصمِم على قَتْل يعقوب؟ من الصعب جدًا أن نرى ذلك.
ولكن، بعد أنّ لعْنتَه اتصّفت بأن يقيم بعيدًا عن سمنة الأرض، في مكان قاحل إلى حدٍ ما حيث لا تُمطر كثيرًا، يمكننا أن نرى لماذا كان يشعر بغضَب كبير وحَسَد تجاه أخيه المتواطئ. هذه اللعنة التي تقتَضي فصلِه عن الأراضي الخصبة، جنبًا إلى جنب مع البَرَكات التي أُعطيَت ليعقوب، عَمِلت على إثارة غضب عيسو، الذي سُمي لاحقًا أدوم، ضد يعقوب، الذي سُمي لاحقًا إسرائيل، إلى الأبد. وهذا بالتأكيد ما رأيناه يحدُث في التاريخ.

حتّى في زمن يسوع... بعد حوالى ألف وثماني مئة سنة من هذه البَرَكة التي مَنحَها إسحاق لولديه التوأمين... كان المَلِك هيرودس المَكروه هو نفسه نتيجة لهذه اللعنة التي حلَّت على عيسو: ففي زمن يسوع، كان اسم أرض أدوم معروفًا في اللغة اليونانية باسم "أدوميا"... وكانت أدوم شعب المَلِك هيرودس وميراثه ووَطنِه. أترَون، أنّ المَلِك هيرودس الشرير المُتعطّش للدماء... المَلِك هيرودس الذي باع نفسه لروما وأصبح دمية في أيديهم... كان من نَسْل عيسو.

يُظهِر الكتاب المقدس كيف اختلَط عيسو بأحفاد مجموعة أخرى من الناس الذين كان لديهم سبب وجيه جدًا... على الأقل في أذهانهم... لكراهيّة إسرائيل إلى الأبد. وكانت تلك المجموعة من الناس الذين اختلَط بهم عيسو من نَسْل إسماعيل... تلك القصة المأساوية السابقة في سِفْر التكوين عن الابن البِكر جسديًا لأعظم الآباء، إبراهيم، الذي رُفِض وحُرِم من حقّ ارتداء عباءة الوريث لوَعد العهد. وسوف نُناقش بعض هذه الاختلاطات عندما نصِل إلى الإصحاحات اللاحقة من سِفْر التكوين.

في الوقت الحالي، اعلموا فقط أن قسمًا كبيرًا، وإن لم يكُن كامل العالم العربي يحمِل جينات عيسو. وعلى وجه الخصوص، فإن شريحة كبيرة من السكان الأتراك مُرتبطة بعيسو، وكذلك معظم السوريين، والشعب الكردي في العراق. سمِعنا جميعًا عن الإمبراطورية العثمانية التي حَكَمت الشرق الأوسط لعدة قرون... من حوالى عام ألف وثلاثمئة إلى ما بعد الحَرب العالمية الأولى مباشرةً؛ كان العثمانيون قبيلة مُهيمِنة في دولة تركيا... وكان هؤلاء الأتراك على وجه الخصوص من نسْل عيسو. وبالطبع، هؤلاء الأتراك مُسلمون، ونحن نعلَم من نبوءات الكتاب المقدس أن الأتراك سيلعبون دورًا رئيسيًا في أحداث سِفْر الرؤيا باعتبارهم أعداء لإسرائيل.

الأمْر الذي يجب أن نفهَمَه أيضًا هو أن غالبية المسلمين في العالم مُرتبطون بعيسو... حتى أولئك الموجودين في أفغانستان. لذا، فإن العداوة التي حدثَت بين الأخَوَين التوأم يعقوب وعيسو منذ حوالى أربعة آلاف عام، لها علاقة كاملة بحالة العالَم الآن، وما أدّى إلى وضِعنا الحالي، وكيف ستتَطوّر الأمور كلُّها قبل، وخلال، الضيقة العظيمة.

إذا نَظرْنا أكثر قليلاً إلى البرَكة... أو اللعنة... التي أُعطيَت لعيسو، نَجِد أنّها تقول، "بسَيفك تحيا". بعبارة أخرى، سيكون العنف والنَهب وسيلة عيسو لكسْب الثروة والازدهار. وكما أوضحتُ في عدد من المناسبات، فإن هذه البرَكات النبوية لها تأثير أكبر على ذريّة الشخص في المُستقبل مقارنةً بالشخص الذي تلقّى البرَكة في الأصل؛ وهذا ما نَجدُه عندما نُتابِع تَقدُّم سلالة عيسو. لم يُصبِح نسْل عيسو رعاة... لقد أصبحوا فاتحين وعصابات من اللصوص من الذين انقضوا على القوافل التي مرّت عبر أراضيهم. كانت الحَرب هي أسلوب حياتهم؛ حتى أن الحَرب هي في جوهر دينهم الحالي أي الإسلام.

وعلاوةً على ذلك، تقول البرَكة أيضًا "... وتخدُم أخاك... ولكن عندما تغضب، تكسُر النير عن عنقك"...

كان الملك داود هو أوّل سليل من نسْل يعقوب يحكُم أحفاد عيسو، كما تنبأت برَكة إسحاق. حَمَلت أدوم نير الهيمنة الإسرائيلية من حوالى السنة ألف قبل الميلاد إلى حوالى سبعمئة وخمسة وثلاثين قبل الميلاد... وهي فترة أطول من الفترة التي كانت فيها الولايات المتحدة دولة. كان المَلِك آحاز مَلِك يهوذا هو الذي فقدَ السيطرة على الأمة الأدومية، ومنذ ذلك الحين لم يَعترِف أحفاد عيسو بأنهم تحت سيطرة إسرائيلي. ونأمل أن يُساعد هذا أيضًا في تفسير تصميم ما يُسمّى بالفلسطينيين، اليوم، على التحرّر من أي سيطرة تحت سيطرة الأمة المولودة من جديد إسرائيل... لأن مُعظم الفلسطينيين يدرِكون أنهم من نَسْل عيسو.

يَنتهي هذا الإصحاح بإصرار ريبيكا على أن يَرحَل يعقوب على الفور هَرَبًا من غضَب عيسو. أخبرَته أنه يجب أن يَعود إلى الشمال، بلاد ما بين النهرين، إلى عائلتها... وبالتحديد، إلى منزِل أخيها لابان. عَرَضت على إسحاق هذه الفِكرة، وأقنعَته بأنها مَسار حكيم من دون التلميح لإسحاق بأن عيسو قد يَقتُل يعقوب، بل من تذكير إسحاق بكراهيته للقبائل الوثنية المُحيطة بهم. كان عيسو قد تزوَّج، قَبل ذلك بفترة من الوقت، من امرأتين كنعانيتين... من الحثيين على وجه التحديد... ما عَذّب إسحاق وريفكا. أخبرَت ريفكا

إسحاق أنهما بحاجة إلى إبعاد يعقوب خِشية أن يفعَل الشيء نفسه! وبالتأكيد وافَق. تذكَّروا، مع ذلك، أنهما ليسا مجرد والديَن يُرسلان طفلهما الصغير للدفاع عن نفسه: كان يعقوب في السَبعينيات من عُمره في هذا الوقت.